في جلسة الرعب

بسملة محمد صديق

رحلة مع النادي

في احدى الليالي الباردة كان الهواء المنعش يحرك النوافذ المفتوحة في غرفة أمجد الذي استلقى على ظهره في الفراش يراقب السقف بجمود وملل حين اهتز هاتفه مصدراً رنيناً عالياً ، اجاب على الهاتف دون النظر لاسم المتصل فجاءه صوت منير الذي بدت عليه الحيوية والسعادة وهو يقول :

مرحباً ، كيف حالك يا أمجد ؟

رد أمجد برتابة : اه هذا أنت ؟ انا بخير ، ماذا عنك؟

منير بحماس : نعم بخير الحمد لله ، إذاً هل أنت متفرغ يوم الخميس ؟

أمجد : كلا ليس يوم الخميس ، فأنا مشغول بمراقبة جدران غرفتي ذلك اليوم ... وكل الايام التي تليه أيضاً .

منير : ماذا؟ لا تمزح معي انا جاد! لدينا رحلة ممتعة وعليك أن تأتي .

أمجد : رحلة؟ يبدو هذا مشوقاً لدرجة أنني لن أذهب من فرط الحماسة !

قال منير بنبرة استعطاف مصطنعة :

ارجوك يا أمجد ! لماذا تتهرب دوماً ؟ لقد انتهى الفصل الدراسي وانت لا تستمتع بعطلتك أبدا ، اذهب معي هذه المرة فحسب فأنا لا أريد ان اكون وحيداً ، ارجووك !

أمجد : ألم تقل أن "لديكم" رحلة؟ أنت لست وحيداً إذاً

منير : أعني انني لا أعرف أحداً من أعضاء النادي لابد أنني سأبقى وحيدا بينهم لذا اذهب معي سيكون الأمر ممتعاً إن ذهبنا معا .
أمجد : مهلاً ! أيُّ نادي؟ مع من ستذهب يا هذا؟ هل علي الاتصال بعمي عبد الله وأخبره بما يفعله ابنه المحترم تحت ستار الدراسة في العاصمة ؟
منير مذهولا : ماذا ؟ بماذا تفكر يا أمجد ؟ اتق الله فيّ ! كنت أتحدث عن نادي الأدب الرِوائي في الجامعة ، إنهم ينظمون لرحلة تخييمية في الغابة .
أمجد : أوه.. حقا؟ على أي حال لست ذاهباً ، فالروايات ليست نوعي المفضل من الكتب!
قال منير وكأنه يلقي بآخر أوراقه :
حسنا إذا ، سأذهب أنا لجلسة الرعب في الغابة المظلمة وحدي مع مجموعة شبان لا أعرفهم والله وحده يعلم ما قد يحدث لي من الخوف هناك !
صاح أمجد : جلسة رعب ؟ لم لا تقول ذلك من البداية ؟ أنا ذاهب بالطبع !
قال منير بنبرة انتصار : اجل ! كنت أعرف انك ستقتنع يا صديقي العزيز!
أمجد : ومن قال اني اقتنعت ؟ أنا ذاهب معك كي لا تخاف فقط .
ضحك منير وقال :
حسنا ، أيا كان عذرك للذهاب ! انهض وجهّز اغراضك بسرعة سنخيم في الغابة ونعود يوم الجمعة مساءً
أمجد : حسناً ، الى اللقاء

وبهذه الكلمات اغلق امجد هاتفه وشرع يرتب ملابسه وأغراضه في حقيبة ظهر متوسطة الحجم .

وعند فجر يوم الخميس نهض أمجد ليصلي الصبح ثم جلس يقرأ القرآن حتى شرقت الشمس واخترقت أشعتها نوافذ المسجد فأغلق مصحفه وعاد أدراجه نحو شقته الصغيرة ، أخذ حقيبة أغراضه واغلق الباب خلفه وخرج نحو الشارع يمسك هاتفه ليتصل بمنير الذي رد عليه بعد محاولات كثيرة ..

أمجد : أين أنت يا منير؟

رد منير بصوت ناعس متجهم :

انا؟ كنت في عالم الأحلام حتى أيقظتني ! لم تتصل مبكراً هكذا؟

أمجد : هل نسيت؟ تلك الرحلة السخيفة تبدأ اليوم

منير : هاا..؟ الرحلة ! لقد نسيت ! حسناً انتظرني في الجامعة عند مقر نادي الأدب فقط نصف ساعة وسآتي !

أمجد : اه .. حسنا

بعد عدة دقائق كان أمجد يطرق باب غرفة صغيرة في الجامعة كُتِب أعلى بابها " مقر نادي الأدب " ، فُتِح الباب ببطء ووجد أمجد نفسه في مواجهة فتى هزيل قصير القامة بنظارة طبية على عينيه الكبيرتين وشعر أشعث غير مرتب البتة ! قال الفتى وهو يتفحص أمجد :

من أنت ؟ اه ..أ أعني مرحباً بك !

رد أمجد : مرحباً ، انا أمجد صديق منير وقد طلب مني المشاركة في الرحلة التخييمية معكم ، أليس هذا نادي الأدب ؟
أجابه الفتى بسرور : صديق منير! نعم نعم تفضل ادخل ، اه هل سجلت في القائمة ؟ اذهب وسجل هناك عند محمد
نظر أمجد للغرفة المليئة بالشبان وسأل :
ومن محمد ؟
ضرب الفتى رأسه بكفه وقال : اه .. أنت لا تعرف محمد ! بالطبع لا تعرفه ! يالغبائي! انه الفتى الجالس خلف الطاولة هناك .
أمجد : شكرا لك .
دخل أمجد واتجه نحو طاولة كبيرة في نهاية الغرفة المليئة بالكراسي على كلا الجانبين ووجد محمد يجلس على كرسي خلف الطاولة ويكتب شيئاً على الورق بيده اليسرى
قال أمجد: السلام عليكم ، هل انت محمد ؟
جاءه صوت محمد الخفيض الناعس :
وعليكم السلام ورحمة الله ، نعم ، هل تريد ان تسجل للرحلة التخييمية؟
أمجد : اجل اسمي أمجد نور الدين
خفض محمد رأسه وبدأ يبحث في الورقة:
أمجد أمجد أمجد... اه نعم أنت مسجل بالفعل !
عرف أمجد ان منير قد سجله سلفاً فاكتفى بهز رأسه وتحرك ليجلس على أحد الكراسي القريبة ، وبين الفينة والأخرى كان ينظر إلى محمد ذلك الشاب الهادئ المرتب ذو البشرة البيضاء الشاحبة بشعره الأملس وعينيه البنيتين

اللتان تحيطهما هالات رمادية خفيفة وقميصه الأبيض الواسع ذو الأكمام الطويلة الذي جعله يشبه الأشباح الهادئة إلى حد بعيد ! كان أمجد يفكر ما إذا كان شاب هادئ وكئيب مثله قد يحب حقا جلسة الرعب او التخييم في الغابة او اي نشاط يحوي بعض المغامرة والإثارة حتى؟ أثناء انغماسه في التفكير شعر بشخص يجلس قربه ويهز قدميه بتوتر ، كان هو نفسه الفتى القصير الذي فتح له الباب ، لاحظ نظرات أمجد المستهجنة فقال بتخبط :

ا أنا آسف.. انا متوتر قليلاً ، لم اخيم من قبل .. انها المرة الأولى لذلك ... لذلك أخشى أن يهاجمنا شئ ما او ن..نمرض او ربما تلسعنا الحشرات السامة او العقارب او تـ...

قاطعه أمجد : لن يحدث شيء

رد الفتى : هاا؟ ح حقا؟ هل أنت متأكد ؟

أمجد : نعم

بهذه الإجابة المختصرة حاول أمجد ان يتخلص من صوته المرتبك المزعج وهو يتذمر ويتخوف من كل شيء ، لكن لم تمض دقيقتين حتى حاول الفتى الكلام معه مجدداً وقال:

ا أنا أدعى حسام ، أدرس في كلية الآداب قسم اللغة العربية ، ماذا عنك؟

أمجد باقتضاب : أمجد

حسام : اه نعم ، لقد أخبرتني! كيف نسيت؟

أمجد : ...

حسام : إذاً في أي كلية تدرس يا أمجد ؟

أمجد : كلية ال.. اه ! لقد جاء منير ! استميحك عذراً

ونهض أمجد على الفور واتجه نحو منير الذي دخل الباب لتوه وعلى وجهه آثار السعادة والحماس وقال :
لقد انتظرتك طويلاً
منير : لكنني لم أتأخر!
أمجد : بل تأخرت ، سمعت اننا سننطلق بعد دقائق .
منير : حقا؟ من الجيد إذا انني لم اشرب الشاي اليوم والا لكنت وصلت متأخرا جداً!
ثم نظر منير لشخص ضئيل الحجم يلوح له وقال :
اووه ! لقد أتى حسام! إنها شجاعة منه حقا !
أمجد : هل تعرفه؟ قلت انك لا تعرف أحدا من النادي!
منير : اه .. ليس حقا ، لقد التقينا عدة مرات في السكن الجامعي. فتى جبان ومهزوز بحق!
أمجد : لقد لاحظت !
في هذه اللحظة ارتفع صوت محمد الذي نهض من على كرسيه وقال :
انتبهوا جميعاً ! وصلت الحافلة التي ستأخذنا .. على كل من يسمع اسمه ان يصعد الحافلة فوراً.
ثم بدأ يقرأ أسماء المشاركين من الورقة التي معه

مخيّم في الغابة

بعد حوالي ساعة ونصف كان الطلاب يقفون داخل الغابة الكبيرة وقد تم تقسيمهم لمجموعات صغيرة تتكون من خمسة أفراد ، كل مجموعة لها مكان منفصل في المخيم ويتشاركون الاغراض العامة كالخيمة والطعام وغيره

وقف أمجد ومنير يفكران في مجموعتهم التي لا يعرفانها حتى سمعا صوت محمد وراءهما يقول :
أمجد نور الدين ومنير عبد الله ، أليس كذلك ؟ أنتما معي في المجموعة ومعنا حسام وعامر ، أترونهم بالجوار ؟
أمجد : حسام في الحافلة يجمع أغراضه الكثيرة ، أما عامر فلا نعلم من هو .
محمد : إنه رئيس النادي لكني ام أره اليوم ، ربما يأتي لاحقاً ، حسنا إذا ، سأذهب لاحضار حسام ونبدأ نصب خيمتنا ، انتظراني هنا لأحضر المعدات .
ثم ذهب محمد بخطوات ثابتة نحو الحافلة وعاد ومعه حسام يحملان الكثير من الأشياء والحقائب وبعد فترة قصيرة نصب الأربعة خيمتهم وادخلوا أغراضهم بها وظلوا في الداخل يتحادثون
قال حسام : انا سعيد ، إنها المرة الأولى التي انصب بها خيمة !

منير بسخرية : ياله من إنجاز مبهر أن تمسك لنا الادوات ونحن ننصب الخيمة بدونك !
ضحك الجميع وتجهم حسام قائلاً : لكنني ساعدت على اي حال!
منير وهو يضحك : اجل أجل ساعدت كثيرا!
لكن توقفوا عن الحديث وخرجوا من الخيمة ما إن سمعوا صوت سيارة تتوقف قربهم ، وقفوا ينظرون بتعجب لذلك الشاب الذي خرج من السيارة وأخذ حقيبته وقال للسائق : اذهب الآن وعد لأخذي مساء غدٍ في الساعة السابعة ، لا تتأخر دقيقة واحدة!
رد السائق بتوتر : ل لكن السيدة طلبت ان اوصلها لموعد في السابعة
غضب الشاب وصرخ بوجه السائق : كلا ، لا يهمني ! يجب ألا أكون هنا في الثامنة ، أنت تعلم ذلك أفضل من أي شخص آخر!
قال السائق المغلوب على أمره : حسنا أمرك يا ابن الرئيس!

تحركت السيارة والتفت الشاب نحو أمجد ومجموعته وقال بتعالٍ : يا إلهي ! هل هذا هو فريقي؟ حسام ومحمد و ... من أنتما ؟ لا يهم ! سأشرفكم بانضمامي اليكم على أي حال !
كان الشاب طويلاً أسمر البشرة بشعر ناعم وكثيف قد ارجعه للخلف ونظارات شمسية فوق رأسه ويرتدي أفخم أنواع الملابس والساعات

محمد : بالطبع يا عامر ، تفضل بالدخول للخيـ..
وقبل ان يكمل محمد كلامه كان عامر قد دخل بالفعل ورمى حقيبته وجلس ينظر إليهم حوله ويتمتم : فريق غبي ، لن نفوز في أي مسابقة هكذا !
محمد : أعرِّفك أمجد ومنير ، سيشاركان معنا .
عامر : حسنا ... لا بأس بانضمام بعض الحشرات ان كانوا سيفيدوننا .
ثم قال موجهاً كلامه إلى أمجد ومنير :
انا عامر رئيس نادي الأدب الروائي ومنظم هذه الرحلة .
وبعد تعارف قصير انقسمت المجموعة وصار أمجد ومنير وحسام يتحدثون بهمس في زاوية الخيمة بينما نام محمد ووضع عامر سماعة الرأس وأخذ يتصفح هاتفه في الزاوية الأخرى
همس منير : ما بال هذا العامر ؟ هل يظن نفسه ابن الرئيس الأمريكي؟
حسام : انه ابن الرئيس فعلاً! اا.. أعني.. تقريباً! إن والده هو عميد كلية الآداب بالجامعة لكنه يتصرف كما لو كان هو العميد ويتحكم في كل شخص في كُليتنا على هواه
منير : إنه مريض نفسي لا أكثر! لن يحترمه أحد هكذا
حسام : الكل يكرهه على أي حال ! إنه الأكثر سوءاً في الكلية !
تدخل أمجد قائلاً : حقا؟ وماذا عن محمد ؟ لا أعني أنه سيء لكنه غريب بعض الشيء.. لا أكاد أصدق أنه يحب التخييم والمسابقات! لماذا يجبر نفسه على مثل هذه النشاطات ؟

نظر حسام إلى محمد النائم نظرة حزن ثم قال :
بل يحبها ، إنه شخص مرح ومليئ بالحيوية والنشاط ، يحب النشاطات ويشارك فيها دوماً... ا ا أعني ..لقد كان هكذا من قبل !
أمجد : ثم تحول إلى شبح فجأة ؟ لا أصدق ما تقول !
منير : نعم هذا مستحيل! إنه يتحدث وعيناه نصف مغمضتين ! كيف يكون نشيطاً ومتفاعلا لهذا الحد الذي تقوله ؟!
قال حسام بارتباك : لقد كان .. كان كذلك ، لكن... منذ تلك الحادثة وقد بدأ يتغير و و وأصبح هكذا .. لكنه شخص مرح في حقيقته انا متأكد أن روحه المرحة مازالت حية ولو قليلاً فهو من اقترح فكرة التخييم هذه من الأساس!
منير : حقا ؟ .. وما أمر تلك الحادثة ؟
حسام : إنها.... ا إنها.. الحادثة قبل سنتين .. عندما كنا في السنة الثانية من الجامعة.. ل لقد كان الأمر مؤسفا ومؤلما بحق !
بدا حسام وكأنه على وشك البكاء من التأثر
أمجد : هل لاحظت انك لم تخبرنا بما هي الحادثة ؟ فنحن لا نعرف عما تتكلم !
حسام : بل تعرفان .. كل من بالجامعة يعرف! كان ذلك... عندما مات أحد الطلاب بحادث سير ! كان مؤلماً..
فكر منير قليلا ثم قال : اه نعم لقد تذكرت! قرأت الخبر على موقع الجامعة الالكتروني وكان منتشراً بقوة ذلك الوقت .

قال أمجد ببرود : لكنني لم اتذكر ، لانني لم أكن في الجامعة حينها ، بل لم أكن في البلاد أصلا!
منير : اجل ، كان ذلك قبل أن تعود للسودان .
أمجد: لكنني لم أفهم بعد ، ما علاقة الحادثة بتغير محمد؟
قال حسام بدهشة : اوه ! ألا تعرفان؟! إنه... أعني.. ذلك الطالب الذي مات .. أحمد .. إنه ... إنه أخوه التوأم !
فغر منير فاهه بصدمة بينما خفض أمجد رأسه هنيهة ثم رفعه وقال بارتياب :
إذا بعد ان مات أخوه أحمد ، أصبح كئيباً وهادئاً هكذا؟
هز حسام رأسه وقال : نعم هذا ما حدث ..
أمجد : يالها من قصة حزينة ومؤسفة !
لكن تعابير الحزن لم تكن تظهر على وجهه كما في كلامه بل كان جامداً وكأنه يلقي خطاباً رسمياً!
ثم سمعوا فجأة صافرة قوية من خارج الخيمة .. خرج الثلاثة معاً ورأوا بعض الطلاب في الخارج تحت مظلة كبيرة يجلسون على بساط على الأرض و يقيمون مسابقة شِعرية ، حيث يجلس اثنان للتسابق ويقول الأول بيتاً شعرياً فيكمل الثاني ببيت شعر آخر على شرط ان يبدأ بآخر حرف من البيت الذي قاله زميله الأول وهكذا تستمر اللعبة حتى يعجز أحدهما عن الإتيان بالبيت المناسب فيخسر ، انقسم الطلاب إلى ثنائيات للتسابق وكان الحكم واقفاً في المنتصف يحمل صفارة صغيرة يصفر بها كلما خسر أحد ثم ينتقل للثنائي الذي بعده ، جلس أمجد ومنير وحسام على البساط معهم وأخذوا يراقبون المسابقة ، بدأ أحد الشبان النزال بالبيتين :

اعتزِل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لأيام الصبا
فلأيام الصبا نجمٌ أفل

قال خصمه على الفور :
لا تشكُ للناسِ جرحاً انتَ صاحبهُ
لا يؤلمُ الجرحَ الا منْ به المُ

فعاد الأول ينشد :
مَقام الفَتى في ذلة بَين آله
وَفي قَومه عارٌ عَليهِ محقّقُ

فكر الثاني قليلاً ثم صاح :
قلب على نار الغرام قد استوى
وحشاشة عبثت بها نار الجوى

بدا كأن الأول سيخسر النزال وتوقف طويلا وهو يفكر ثم ابتسم وهو يقول :
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

وهنا سكت خصمه .. سكوتا طويلاً حتى أعلن انهزامه وصفر الحكم بقوة معلناً نهاية النزال الشعري !

صفق كل الحاضرين للفائز على هذا النصر السريع!
وابتسم أمجد برضا وهو يقول :
كم أحب هذه القصيدة !
سمع امجد صوتاً خلفه يقول : قصائد الشاعر بشار ابن برد دائماً رائعة ! هل تعلم أنه كان أعمى منذ ولادته ؟ من كان يتوقع ان يصفَ وصفا أدقّ من وصف الناظرين !
كان المتكلم هو محمد الذي جاء وجلس قربه على الأرض
تفاجأ أمجد وقال : هاا؟ اه .. نعم انه مبدع.. متى أتيت ؟ لم أشعر بوجودك
محمد : أتيت للتو ، أيقظني صوت الصافرة فجئت لأرى ما يحدث.
أمجد : حسنا ، إذاً أنت مهتم بالشعر؟
محمد : كثيراً! نحن ندرسه في الكُلية أيضاً .
قاطعهم صوت صافرة قوية فقال حسام :
يبدو ان مسابقات الفِرَق ستبدأ ، هل نشارك بدون عامر؟
قال منير وهو يتثاءب : لماذا نشارك؟ مجرد مشاهدتهم وهم يركضون ويتنافسون تشعرني بالتعب ! أريد البقاء هنا فقط
محمد : وأنا رأيي من رأيك ، ليس لي رغبة في المشاركة
حسام : ح حقا؟ ظننت انكم متحمسون لها ، هل تتفق معهما يا أمجد ؟
أومأ أمجد برأسه ثم عادوا لمشاهدة بقية المسابقات والنشاطات حتى انتهت فعاد الأربعة إلى خيمتهم حيث كان عامر نائماً ، وغطوا جميعاً في نوم عميق حتى أيقظهم صوت احد الطلاب يؤذن لصلاة المغرب ، نهض

أمجد وايقظ منير وحسام بخفة ونظر إلى مكان محمد لكن لم يجده هناك فتركه وذهب ليوقظ عامر الذي قال بتثاؤب:
لم توقظني يا هذا ؟ ماذا تريد ؟
أمجد : لا أريد شيئاً لكن المغرب قد حان ، انهض لتصلي
عامر وهو يعود للنوم : حسنا حسنا ، اتركني سأنهض وحدي
تركه أمجد وذهب ليلحق برفاقه وصلى المغرب مع بقية الطلاب في جماعة وبعد ان انتهت الصلاة وقف أحد الطلاب وقال بصوت عالٍ :
سنقيم جلسة رعب اليوم مع موعد العشاء عند الساعة التاسعة ! سنحكي فيها القصص المرعبة ونتحدث عن الأساطير والكائنات المخيفة ، من كان جباناً فليبق في خيمته فقط! الشجعان وحدهم من يحضرون جلسات الرعب !
وارتفعت صيحات الحماس بين الطلبة واخذوا يتحدثون عن الأمر وهم عائدون لخيمهم ..
قال منير لأمجد :
هل أنت سعيد الآن ؟ هذا ما كنت تنتظره !
أمجد: سعيد ومتحمس! ماذا عنك يا حسام؟
حسام : ا أنا ؟؟ ب بالطبع لن أحضر! أفضل البقاء في الخيمة على الموت رعباً وسط الغابة!
منير: كلا بل ستحضر معنا ، صدقني إنها ممتعة جدا وليست مخيفة إطلاقاً ، اسأل امجد ، أخبره لماذا تحب الرعب يا أمجد
أمجد: أوه.. لأنه مضحك جدا

حسام : م مضحك ؟! ما المضحك في الأمر!
قال أمجد وهو يضحك : وجوه الناس الخائفين وتلك الخرافات الغبية والقصص المكررة عن وحوش الغابة ، يضحكني حقا كيف انكم أيها البشر تخافون من ذلك!
نظر إليه حسام بارتياب وخوف وقال : أنت غريب بالفعل ، هل أنت شخص طبيعي مثلنا؟
قال أمجد مستهزئا : كلا ، انا كائن فضائي! ألا ترى لوني الأخضر ومجساتي الطويلة؟
ضحك حسام بشدة حتى نسي خوفه ، ثم قال منير وهو يشير للخيمة : انظروا من أتى أخيراً! السيد الرئيس يخرج من قصره !
كان عامر قد خرج للتو من الخيمة وبدأ يتوضأ للصلاة بينما مر بجانبه محمد وهو يدخل الخيمة بهدوء ، قال أمجد: أين كان محمد يا ترى؟
حسام : كان يصلي خلفنا ، ألم تره؟ إنه يسير بهدوء حتى ان الشخص قد لا يلاحظه في كثير من الأحيان.
أمجد: إنه لا يسير ، بل يطفو ! إن كانت الأشباح حقيقية فهو مثال ممتاز عليها!

ظلوا يتحدثون في أماكنهم حتى أذن المؤذن لصلاة العشاء فصلّوا واتجهوا نحو الخيمة ليستريحوا قبل موعد الجلسة حيث وجدوا عامر لايزال في الداخل يلهو بهاتفه ومحمد قد عاد خلفهم من الصلاة ، انشغل كل منهم بتصفح هاتفه بينما خرج عامر للصلاة وعاد .

عند الساعة الثامنة نهض محمد وقال :
علينا تحضير العشاء الآن فوقت جلسة الرعب قد اقترب ، ألقاكم هناك ، هيا يا حسام لنذهب
سأل منير : هل تشاركان بإعداد الطعام ؟
حسام : نعم ، انا ومحمد نشارك في إعداد العشاء فقط فبقية الوجبات مقسّمة على طلاب آخرين.
قال محمد الذي خرج من الخيمة : هيا يا حسام لقد تأخرنا!
حسام : ا ا .. نعم انا قادم !
ثم ركض بسرعة خارج الخيمة ، وقف عامر على الفور وأخذ حقيبة صغيرة من داخل حقيبته وخرج من الخيمة وعاد بعد قليل وهو يمسك أعلى يده اليمنى باليد اليسرى ، سأله منير قائلا:
ما بال يدك؟ هل تأذيت؟
رد عامر بعد القليل من التفكير
ك كلا .. لقد لسعتني حشرة ما .
منير : اذهب لخيمة الإسعافات الأولية لفحصها ، فقد تكون حشرة سامة! لا تعرف ما قد يوجد في الغابة!
عامر : كلا لا بأس ، لا تبدو سامة او خطيرة ، أرجو ان تهتم بشؤونك !
تجهم منير ونظر الى أمجد وهمس له : أهذا جزاء اهتمامي ونصحي ؟
أمجد: لا تهتم به ، إنه مغرور فحسب .

لقد مات !

وبعد مضي ساعة تقريباً نهض عامر بنشاط وقال : أخيرا حان وقت الجلسة المرعبة! هل ستبقيان هنا أيها الجبانان ؟
نهض منير وقال بغضب : كلا بل سنذهب أيها الفارس الشجاع ! ، هيا بنا يا أمجد .
تبعهما أمجد بصمت وهو يحاول كتم ضحكته حتى وصلوا الى ساحة خالية وضعت فيها جذوع الأشجار في شكل دائري ليتخذوها مقاعدا لهم وفي المنتصف كانت النار المشتعلة هي مصدر الضوء الوحيد في المكان ، جلس أمجد في المنتصف بين منير وعامر وبعد دقائق كانت الساحة قد امتلأت بالطلاب الجالسين حول النار ووقف أحدهم وبدأ يروي قصته المخيفة بطريقة درامية غريبة جعلت منير يرتجف خوفاً وكان أمجد ساكناً ينتظر الجزء المخيف والذي لم يأتي أبدا حسب رأيه !
لم يُظهِر عامر أي علامات للخوف غير أنه كان يبتلع ريقه ويجحظ بعينيه كلما حدث شيء مخيف في القصة ، بعد انتهاء الشاب من قصته تعالت الصيحات وقال البعض:
_ لم اخف إطلاقاً! كانت قصة عادية
- لكنني خفت كثيرا ، خصوصا عندما صرخ فجأة لقد أرعبني ذلك !
* هل هو دورك لتحكي القصة ؟ فلتجعلها مرعبة بحق!

بينما تبادل الطلاب التعليقات حول القصة سمع منير فجأة صوتاً هامساً من خلفه يقول :
فاتتني القصة الأولى ، هل كانت مخيفة؟
انتفض منير من الخوف والتفت فرأى محمد الذي أتى للتو وجلس قربه بهدوئه المعتاد
منير : يا إلهي! كنت ستوقف قلبي من الرعب! لم تتسلل دوماً هكذا؟!
ضحك محمد ضحكة خافتة
واكمل منير : كانت قصة مخيفة جدا ! انها تتحدث عن رجل يجد شبيهاً له في كل الصور التي التقطها لكن لا احد غيره يراه !
توقف محمد فجأة عن الضحك وظهر تعبير غريب على وجهه ثم قال :
شبيه خفي ؟ يبدو هذا مخيفا بحق ، من الجيد ان حسام لم يسمعها !
منير : أين حسام بالمناسبة ؟ ألم يأتي معك؟
محمد : كلا سيأتي بعد قليل ، مهمته هي توزيع أطباق الطعام لذا سيتأخر قليلاً في التجهيز .
منير : هكذا إذاً
كان أمجد مركزاً بكل حواسه مع حوارهما حتى قطع تركيزه صوت عامر يقول : أي جزء أخافك أكثر ؟ لابد أنه الجزء الأخير ، أليس كذلك ؟ فضِعاف القلب أمثالك لا يحتملون هذه القصص!
أمجد : كما تريد
عامر : ماذا؟ ما هو ؟

أمجد بابتسامة : أعني أنك افترضت إجابة لسؤالك وحدك وصدقتها لذا افعل ما تريده وتخيل المزيد من التفاصيل بنفسك !
عامر : أليست إجابتي صحيحة؟
أمجد: بل خاطئة تماماً ، فالجزء الأخير كان سخيفاً لأن النهاية مفتوحة ولم نعلم حتى ما كان ذلك الشبيه الخفي
عامر : ربما يكون كائنا متوحشا من عالم آخر ، أليس هذا مخيفا ؟
أمجد: وربما هو مجرد انعكاس من عدسة الكاميرا! وعندها سيبدو الأمر منطقياً واكثر إثارة للضحك!
عامر باستياء : أنت تفسد علي متعة القصة ! اتركني وشأني!
أمجد: كما تريد ، فأنت من بدأ على أي حال!

كانت القصة التالية قد بدأت عندما أتى حسام يحمل صينية كبيرة بها العديد من الاطباق واخذ يوزعها على الطلاب وهو يحاول حفظ توازن جسده الضئيل تحت تلك الصينية الثقيلة حتى أكمل التوزيع وجلس قرب عامر يحاول التقاط أنفاسه ، ثم نهض ثانية وأراد الذهاب عندما أوقفه أمجد قائلا: إلى اين تذهب يا حسام؟ ألن تبقى قليلاً ؟
حسام : س سأحضر العصير .
أمجد : لكن القصة ستفوتك
حسام : هذا أفضل!
قال أمجد : سأساعدك . وترك طبق طعامه ونهض من فوره وتبع حسام إلى خيمة الطعام حيث سكب حسام

العصير في الاكواب وأخذاها الى الطلاب حول النار ، كانت القصة الثانية قد قاربت على الانتهاء وحبس كل الجالسين أنفاسهم في ترقب ووجل ، وزع امجد العصير حتى وصل إلى عامر الذي رفض أخذه

أمجد : لا تحب عصير الليمون ؟ هناك عصير برتقال إذا أردت

عامر : لا أحب العصير أصلا ... انقلع من أمامي ، سأحضر مشروبي الخاص .

أمجد: كما تريد!

عامر : ألا تعرف غير هذه الكلمة أيها الغبي؟

وغاب عامر قليلا ثم عاد حاملاً كوبا أسوداً به مشروب غازي وأخذ يشرب منه ويحرك الكوب بشكل دائري بين الفينة والأخرى ، جلس أمجد قربه وكاد يبدأ بتناول طعامه عندما سمع صوت الراوي يرتفع وهو يقول بصوت مرعب :

وفي تلك اللحظة خرج طيف أسود من بين الأشجار ... اقترب منه ببطء ... واقترب أكثر فأكثر ... حتى صار ملاصقا لوجه الفتى ... رفع الطيف فأسه لأعلى ثم هوى بها على عنق الفتى المرعوب و ...

ثم صاح الراوي فجأة :

لقد مات!

ثم صرخ الراوي صرخة جعلت الجميع يشهق من الخوف!

ثم سمعوا صرخة أخرى.. صرخة مختنقة .. نظر الطلاب نحو مصدر الصوت .. لم يكن الراوي ، بل كان عامر .. بعينيه جاحظتين للأعلى وصوت صرخته المكتومة وتعابير وجهه المتألمة .. صرخ بقوة .. سقط الكوب من يده .. ثم سقط جسده أرضاً..

هبط أمجد على ركبتيه واخذ يهزه من كتفه لكنه لم يتحرك ، رفع أمجد رأس عامر ونظر إلى وجهه.. كان متجمدا وعينيه مفتوحتين .. وضع يده على يد عامر يتحسس نبضه ، لكنه لم يشعر بشيء ، لقد توقف نبضه !

في تلك الغابة الهادئة هدوءاً مرعباً ، وقف أمجد بثبات وصاح :
لقد مات !
تردد صدى صوته في المكان ثم صرخ حسام مرعوبا وأخذ يرتجف .. بدأ الرعب يسري بين الطلاب وأخذوا يتهامسون بشك وخوف حتى قاطعهم أمجد :

انتبهوا !!! لقد مات عامر .. وهذا قدر الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون..
عليكم ان تهدأوا الآن! فليتصل أحدكم بالشرطة فوراً وعلى الجميع الرجوع لخيمهم حتى تصل الشرطة وتحقق في الأمر ، ابقوا في خيمكم ولا تتحركوا!

مرت بضع لحظات من القلق والتوتر ثم تفرق الحشد بسرعة وخلت الساحة من الطلاب عدا أمجد يقف عند رأس الجثة ومنير يحاول الاتصال بالشرطة بجانبه ، بعد دقائق قال منير لأمجد : اتصلتُ بالشرطة وأخبرتهم بالأمر ، انهم في الطريق الآن ..

أمجد : جيد

ثم جلس أمجد على الأرض قرب الجثة وأخذ يتفحصها بعينيه بشك ، أمال رأسه على كتفه وهو ينظر لوجه عامر بعيونه الجاحظة وتعابيره المصدومة المتألمة الجامدة ، بقي أمجد على هذه الحال عدة دقائق حتى قاطعه صوت منير يقول : أمجد! ماذا تفعل عندك؟ لم أنت متصلب هكذا؟

فزع أمجد وكأن صاعقة اصابته وعدل وضع رأسه على الفور ونهض يقول : اه ..لا شيء! كنت أفكر فقط..

منير : تفكر في ماذا ؟

أمجد : في هذه الجريمة البشعة

منير : جريمة؟ ماذا تعني؟

أمجد : لا تكن غبيا يامنير ، من الواضح انها جريمة قتل ! لكن من قتله ؟

منير : ق قتل؟! هل أنت واثق؟

أمجد : كل الثقة ! وهو قتل بالسم أيضاً

منير : ربما تسمم من طعام فاسد او شيء منتهي الصلاحية فقط ، ليس بالضرورة ان تكون جريمة قتل !

أمجد: بل بالضرورة ان تكون! لو كان كما تقول تسمماً غذائياً لظهرت عليه الأعراض مبكراً وكان سيشكو من

آلام البطن وغيرها ثم يموت بعد فترة ، لكنه لم يشك من شيء طوال اليوم .. مما يعني أنه كان سما قوياً وسريع المفعول ولا يمكن ان يؤثر طعام فاسد لهذه الدرجة أو بهذه السرعة !

منير : كلامك صحيح

هز منير رأسه وهو يفكر ويجول المنطقة بعينيه حتى وقع نظره على طبق طعام ممتلئ على جذع الشجرة قرب المكان الذي جلس عليه عامر ، نظر إليه مليا ثم قال بحيرة :

لكنه لم يلمس طعامه ، من أين جاء السم ؟

رفع أمجد عينيه إلى الطعام ثم قال بتفهم :

اه هذا ليس له ! إنه طبقي أنا ولم أجد وقتاً لآكله لأنني كنت أساعد حسام في توزيع العصير

صاح منير بدهشة : اه!! العصير!! ربما كان السم فيه أيضاً! ما رأيك يا أمجد ؟ أين وضع السم ؟ في العصير ام في الطعام؟

أمجد : لا أدري ، فهذا ما ستعرفه الشرطة الآن

عندما أنهى جملته توقفت سيارات الشرطة المسرعة امامهم مباشرة ونزل منها الضباط يتقدمهم رجل طويل ونحيل يرتدي معطفا ثقيلاً ويسير بهدوء مع نظرة جامدة على وجهه ، توقف الرجل أمام أمجد ومنير وقال بحدة وهو يُظهِر لهما بطاقته :

جمال ميرغني ، محقق جنائي ، من أنتما ؟

قال أمجد بنفس لهجة جمال الرسمية : انا أمجد نور الدين وهذا صديقي منير عبد الله ، الجثة خلفنا ويمكنك بدأ عملك مباشرة فقد طلبتُ من الجميع التزام خيمهم
المحقق جمال : شكرا لك ، هذا يسهل علينا الامر يا أمجد

ثم أمر الضباط بتفتيش المكان وفحص الجثة بحذر ، ثم التفت فجأة ونظر لامجد ومنير قائلاً:
والآن هلّا تشاركانني كل ما تعرفانه من معلومات حول هذه القضية ؟
أمجد : أجل بالتأكيد
المحقق جمال : أولا أخبراني بما تعتقدانه أنتما حول هذا الأمر ؟
أمجد : شخصياً أعتقد أنها جريمة قتل بسم قوي وسريع المفعول
المحقق جمال : لابد ان لديك أسبابك لهذا الاعتقاد ، لكن لدي اشياء أخرى أريد معرفتها
أمجد : بالطبع ، تفضل اسأل وسنجيبك
جمال : أخبرني بما حدث قبل نصف ساعة من موته وحتى الآن
سأل منير بتهور : ولم نصف ساعة بالتحديد ؟
أجابه جمال دون ان ينظر إليه: لأنه الوقت المتوقع لتناوله السم إن كان توقع صديقك صحيحاً
هز منير رأسه وهو يفكر " إنه غريب ، يبدو مهتماً بتخمينات أمجد أكثر من جمع الأدلة وفحص الجثة "

بينما كان أمجد يفكر " إنه ذكي ، يريد معرفة ما حدث من وجهة نظر الشهود بالضبط لذلك يحاول إيهامي أنه مهتم برأيي بشدة فأثق به وأشاركه حدسي الشخصي حول المجرم أو أقع بشباكه إن كنت أنا المجرم "
ثم روى له أمجد ما حدث بالضبط حتى مجيء الشرطة
فكر جمال قليلا ثم قال :
لم أنتم في الغابة ؟
أمجد : إنه نادي الأدب ، يقيمون رحلة تخييمية في الغابة ونحن نشارك فيها
المحقق : جيد جيد .. إذا ما علاقتكما بالضحية ؟
أمجد : في الحقيقة نحن لا نعرفه ، التقينا به اليوم في هذه الرحلة ، كان ضمن مجموعتنا في المخيم
المحقق : ومن معكم في المجموعة ؟
أمجد : اثنان آخران ، حسام ومحمد ، هما في كلية الآداب معه .
المحقق : هل تواصل مع أي أحد آخر اليوم ؟
أمجد : كلا ، لا أعتقد ، لم يخرج من الخيمة إلا للصلاة وحده ولهذه الجلسة التي مات فيها
المحقق : إذاً لن يكون الامر متعباً
منير : ماذا تعني؟
المحقق : أعني ان المشتبه بهم هم أربعة أشخاص فقط ولن يكون التحقيق معهم متعباً
صرخ أحدهم فجأة: أيها المحقق ! وجدنا شيئاً غريباً هنا

اتجه المحقق جمال إلى حيث يجثو الضباط قرب الجثة وأخذوا يتهامسون فيما بينهم ، نظر إليهم أمجد من بعيد وسأل منير بتعبير شارد : من تظن أنه القاتل ؟
منير بحيرة : لا أدري ، بل لا أكاد أصدق انها جريمة قتل !
أمجد : ستصدق ذلك الآن
أنهى جملته حين وصل المحقق جمال إليهما وقال وهو ينظر بحدة إلى أمجد : كنتَ محقاً ، إنه سم قوي وسريع المفعول ، إنه السيانيد !
أمجد : سيانيد ؟ هذا غريب ..
ظل منير مصدوما لبعض الوقت ثم سأل : ما الغريب ؟ أليس سماً قاتلاً ؟
أمجد : أجل وهذا هو الغريب ، كيف حصل القاتل عليه ؟ إنه سم خطير ولا يمكن الوصول إليه بسهولة !
المحقق جمال : نعم ، فكرت في هذا الأمر أيضاً لكن هذا ليس المهم الآن فعلينا اكتشاف القاتل أولاً.
أمجد : اه .. أجل ، هل ستبدأ الاستجواب فوراً ؟
المحقق : نعم ، أريد مقابلة الاثنين الآخرين ، فقد قمت باستجوابكما بالفعل
فكر منير وأمجد في نفس الوقت "ما الذي يقوله ؟ متى قام باستجوابنا؟"

استجواب وتحرّي

بعد بضعة دقائق كان المحقق جمال يجلس داخل خيمة كبيرة وبيده دفتر صغير وقلم وأمامه محمد الذي يجلس بهدوء وثبات ، بدأ المحقق بسؤاله بعض الأسئلة لاستجوابه

المحقق : أين كنت وقت الحادثة ؟

محمد : أجلس مع الجميع حول النار في الخارج

المحقق : صف لي طريقة جلوسكم بالترتيب

محمد : جلست على يسار منير وعلى يمينه كان أمجد ثم عامر

المحقق : وأين كان حسام ؟

محمد : اعتقد أنه كان يوزع العصير ثم جلس على يمين عامر

المحقق : جيد ، ما علاقتك بالضحية؟

محمد : زميل دراسة فقط

المحقق : هل كان لديه أي عداوة مع أحد ؟ اي شيء قد يدفع شخصاً لارتكاب هذه الجريمة بحقه .

محمد : في الحقيقة هو لم يكن شخصاً محبوباً من الأساس

قال المحقق بحدة : ماذا تعني ؟ قد تشهد أقوالك ضدك !

ظهرت تعابير التوتر على وجه محمد ثم قال :

أعني أنه ... لا توجد لديه عداوات شخصية حسب علمي.

المحقق : حسنا إذا لقد انتهينا يمكنك الذهاب .

أومأ محمد برأسه ثم نهض واستدار ليخرج وهو يتنهد ارتياحاً قبل ان يسمع صوت المحقق جمال يسأله :
هل أنت واثق من براءة صديقك الآخر ؟
قال محمد بحزم : أجل انا واثق.
ثم أكمل طريقه وخرج .
كان حسام يهز قدميه بتوتر أمام المحقق جمال الذي ألقى عليه أسئلة كثيرة فأجاب عليها بارتباك شديد أجوبة مختصرة جداً ..
المحقق : من قام بصنع وتوزيع الطعام ؟
حسام : أنا ومحمد صنعناه معا ثم قمت بالتوزيع وحدي
المحقق : هل وزعت أكواب العصير أيضاً؟
حسام : أ..أجل
المحقق : ومن قام بإعداده ؟
حسام : ل..لا أحد ، لقد.. لقد اشتريناه جاهزاً
فكر المحقق لبعض الوقت ثم سأل :
من تعتقد أنه المجرم ؟
بدا حسام متفاجئاً وقال : ل..لا أدري!
سأل المحقق بهدوء : أنت واثق من براءة اصدقائك الثلاثة إذا ؟
نظر حسام للأسفل وأجاب بثبات غريب : أنا واثق من براءة محمد .
نظر إليه المحقق جمال بدهشة ثم ابتسم وقال : أتعني أنك تشك في أمجد ومنير ؟
ارتبك حسام وقال : ل..لا أبدا أبدا ، لا أعني ذلك !
المحقق بابتسامة : وماذا تعني ؟

قال حسام بارتباك أكثر : أ..أنا فقط لا أعرف عنهما شيئا ، انهما غ..غريبان علينا ، كيف أثق بهما ؟
حدق المحقق جمال بهدوء بعيني حسام المترددة لمدة طويلة بصمت ثم رسم فجأة ابتسامة مشرقة على وجهه وقال : شكراً لك ، لقد انتهينا الآن ويمكنك الذهاب
نهض حسام وخرج على عجل بقدمين مرتجفتين
تنهد جمال بهدوء ثم قال بصوت مسموع : إذا ما رأيك يا أمجد ؟
دخل أمجد الخيمة من باب صغير يقع خلف المحقق مباشرة وتبعه منير وقال : إنهما يخفيان شيئاً
المحقق : كيف عرفت ذلك ؟
أمجد : من هذه الثقة العمياء في بعضهما البعض
منير : هذا أمر طبيعي لأنها أصدقاء منذ مدة طويلة
قطب أمجد حاجبيه وقال : كلا ليس في هذه الحالة .. أنتم أيها البشر تتخلون عن بعضكم البعض لمصالحكم الشخصية ، فإقرار كل منهما ببراءة صاحبه يجعل دائرة الاتهام أضيق وبذلك تزداد نسبة كونه الجاني ، يبدو الأمر كاعتراف قسري بالجريمة حتى وإن لم يرتكبها ، لم قد يعترف احد بجريمة قتل لم يرتكبها ؟
نظر إليه المحقق جمال لبرهة ثم ابتسم برضا وهو يقول : أنت عبقري ، لكن هل تعرف ما يخفيانه ؟
تنهد أمجد وقال : كلا .. ليس بعد
بعد صمت قصير قال أمجد وهو يفكر : أيها المحقق ، أين وجدتم السم ؟

المحقق : في كوب عصير شرب منه الضحية قبل موته مباشرة فاثار الشراب المسموم موجودة حول فمه وفي الكوب أيضاً
منير : في العصير !! لكن كيف ذلك ؟ لقد شربنا جميعاً من نفس العصير وجميع الاكواب متشابهة ، كيف وصل السم الى كوبه ؟!
المحقق : هذا ما كنت أفكر فيه تماماً ، لابد أن من وزع العصير كان يعرف الكوب المسموم وقدمه للضحية عن عمد ، إنه..
قاطعه منير : إنه حسام ! هو من وزع العصير !
قال أمجد بهدوء : بل أنا من قدمت العصير للضحية .
صُدِم كلٌ من منير والمحقق جمال وقال المحقق بحيرة : هل أنت جاد ؟ أنت تلقي بنفسك للهلاك يا أمجد
ضحك أمجد وقال : حتى لو كنت قاتلاً فلن أكون غبيا لهذه الدرجة ! صحيح انني شاركت حسام في توزيع للعصير وقدمته للضحية بنفسي لكنه رفض أخذه مني وذهب ليحضر شرابه الخاص كما قال وأكملت انا التوزيع وشرب الجميع العصير ولم يكن به أي سم .لذا فنظريتكما خاطئة !
تنهد المحقق جمال وقال : اه ... إذا سنستبعد حسام من هذا ! .. إذا أنت تقول ان الضحية أحضر الشراب المسموم بنفسه وشربه ؟
أغمض أمجد عينيه وقال : نعم هذا ما رأيته ، لكن هذا لا ينفي انه تم تسميمه من قبل شخص آخر ، أحد ما دسّ السم في كوبه ذاك ، شخص قريب منه ويعرفه جيداً

قال منير بحيرة : من أين أتيت بهذه المواصفات ؟
أجاب المحقق جمال بسرعة : لأنه من غير المتوقع ان يرفض الضحية العصير ويحضر شرابا آخر ، لابد ان القاتل كان يعرف مسبقاً انه لن يشرب العصير وسيشرب من ذاك الكوب الذي معه فوضع السم فيه ! ولن يعرف شيئا كهذا إلا أحد ذو علاقة وثيقة به او كان ملازماً له لفترة .
هز منير رأسه بتفهم وقال : وما كان ذلك الشراب الذي أحضره الضحية معه ؟
وفجأة فتح أمجد عينيه بدهشة وقال بصوت منخفض : هل يمكن هذا ؟! هل يمكن ؟
نظر إليه منير وجمال بحيرة لبعض الوقت وهو يتمتم مع نفسه بهدوء : هذا محتمل جدا ، لكن من يكون ؟ كلا كلا إنه مجرد احتمال ،هم لن يفعلوا ذلك به ! هذا مستحيل ..
سأل المحقق جمال فجأة :من هم ؟ ما الذي تقوله يا أمجد ؟
فزع أمجد من تفكيره ثم قال بابتسامة : كلا لا شيء ، إنها مجرد فكرة سخيفة خطرت لي .
المحقق : ألن تخبرنا ما هي ؟
أمجد : ااه..هي ليست بتلك الأهمية ، على أي حال انا متعب وسأذهب للنوم ، إلى اللقاء أيها المحقق
وسار أمجد بسرعة نحو مدخل الخيمة ومعه منير لكنه توقف فجأة والتفت الى المحقق وقال : لم تثق بنا ؟ ألسنا ضمن المتهمين أيضاً؟
قال المحقق وهو يبتسم : لقد جمعت معلوماتي حولكما بالفعل ، تأكدت أنكما لم تلتقيا بالضحية قبل اليوم ولم

تتواصلا معه الا نادراً ، أي أنه ليس لديكما دافع لقتله ، أنتما خارج الإتهام .
ابتسم أمجد بدوره ثم خرج مع منير واتجها نحو خيمتهما لكنها كانت محاطة برجال الشرطة وتم منعهما من الدخول لإجراءات تفتيشية ..
قال الضابط أمام الخيمة : تم نقلكم إلى خيمة أخرى في الوقت الحالي حتى يتم الانتهاء من التفتيش
سأله منير : وأغراضنا ؟ هل سيتم تفتيشها أيضاً؟
قال الضابط : لقد تم تفتيشها بالفعل وهي الآن في الخيمة الجديدة .. عدا أغراض الضحية فهي لا تزال هنا وسيرسل أهله أحداً لاستلامها غداً عند العاشرة .
أومأ منير وأمجد برأسيهما ثم ذهبا للخيمة الأخرى مع حسام ومحمد .. دخلا الخيمة حيث كان حسام ومحمد يتحدثان بصوت منخفض وينظران لشاشة هاتف يمسكه حسام .
سألهما منير : إلام تنظران ؟
حسام : اه ... ب..بعض الصور القديمة ن..نحاول إيجاد صورة لوضعها مع النعي في.. في موقع الجامعة الالكتروني.
محمد : هل تريدان رؤية الصور معنا ؟
هز منير رأسه وجلسوا جميعاً ينظرون إلى الصور في هاتف حسام ، كانت صوراً قديمة تعود لبداية دخولهم الجامعة ، معظمها صور لحسام في الحرم الجامعي والبعض لزملاء آخرين معه ، كان حسام يقلب الصور بسرعة وهو محرج من سخافته فيها حتى مرت صورة

جعلته يتوقف لفترة وقد ظهرت عليه علامات الحزن وأشاح محمد وجهه عن الهاتف بسرعة وهو يخفي تعابيره المظلمة ، نظر حسام بحزن للصورة وقال بصوت هادئ : كان أول يوم لنا في السنة الثانية من الجامعة .. أتذكر المقلب الذي قمنا به لياسر يا محمد ؟

رد محمد بتوتر : أ..أجل ، ك..كان مضحكاً

قال حسام بدهشة : أوه لا .. أ أعني عندما حاولنا إخافته بالقرد فأغمي عليه وأخذناه لعيادة الجامعة واكتشفنا بعدها أن لديه فوبيا حقيقية من الحيوانات !

محمد : ا.. أجل أجل ، تذكرت الآن!

أعاد حسام نظره للصورة وتابع : ثم في وقت آخر من ذلك اليوم جاء أحمد رحمه الله إلى كُليّتنا وعرّفني عليه محمد والتقطنا هذه الصورة معاً ..

حدق أمجد ومنير في الصورة بصمت ، كان حسام يقف في المنتصف ويبتسم بسذاجة ومحمد الذي بدا أكثر حيوية ونشاطا كان يستند بيده اليسرى على كتف حسام وهو يبتسم بإشراق وعلى الجانب الاخر من حسام كان يقف شاب يشبه محمد شبها كبيراً إلا أن شعره كان مجعدا وكان يمسك كتابا كبيرا بيده اليسرى ويضع اليمنى على كتف حسام ويبتسم بهدوء ، قال أمجد بتفكر : إذا هذا هو أخوك التوأم الذي مات ؟ إنه نسخة منك .

نظر كل من حسام ومنير إلى أمجد نظرات شزر وعتاب لوقاحته الشديدة ، إلا ان محمد أجاب بهدوء : نعم كنا توأماً متطابقا ..

سأل أمجد ببرود متجاهلا نظرات الاستهجان من منير وحسام : وكيف مات ؟
محمد : حادث سير عادي ، لقد صدمته سيارة وهو خارج من مبنى الجامعة في الشارع الخلفي
أمجد : إنه شارع واسع وخالٍ ! كيف لم ينتبه لتلك السيارة ويتجنبها ؟!
قام منير بنكز أمجد بيده وهو يقطب حاجبيه في اشارة له ليصمت لكن أمجد لم يهتم به
قال محمد بغضب طفيف : إنه قضاء وقدر!
نظر إليه أمجد ثم قال بهدوء : صحيح ، إذاً تصبحون على خير.
ونهض من فوره واستلقى على فراشه وأغمض عينيه ...

بعد فترة وجيزة انضم إليه منير واستلقى على الفراش المجاور له وبقي كل من حسام ومحمد يتحدثان في الجانب الآخر من الخيمة
قال منير بهمس : أعلم أنك مستيقظ ، لم تتصرف هكذا مع محمد؟ هل تكرهه لأنك تشك بأنه القاتل ؟
قال أمجد بصوت هامس : أنا لا أكره أحداً
منير : إذا ما خطبك ؟
أمجد : ليس بي خطب ، هلّا تتركني لأنام ؟!
منير : لا يبدو أنك تريد النوم ، أنت تفكر في القضية أليس كذلك ؟
أمجد : إذاً اتركني لأفكر
منير : كما تريد يا شارلوك هولمز

أغمض منير عينيه وهو يفكر " في الصباح كنا نجلس معا كأصدقاء ونستمتع سويا بسرور ، والآن ينام كلٌ منا خائفاً في زاوية وهو يتسائل في نفسه ... من القاتل بيننا؟ "

عند الفجر كان الجميع مستيقظين مبكراً لأنهم غالباً لم يناموا للحظة واحدة ، وبعد صلاة الصبح جلس أمجد يحاول التسبيح لكنه كان يشرد ويسهو كل مرة ثم يعود يسبح من جديد ثم يسهو مجدداً غير قادر على التركيز ، حتى صاح فيه منير : أمجد ! ما بك يا صاحبي؟ استيقظ ! فتح أمجد عينيه مفزوعا وهو لم يعلم بأنه غفا للحظات ثم نهض وذهب مع منير بخطى بطيئة إلى الخيمة حيث سقط بقوة على الفراش بمجرد دخوله وغط في نوم عميق ، نظر إليه منير متفاجئاً وقال في نفسه "لابد انه ظل يفكر طوال الليل ولم ينم" وبعد قليل دخل كل من حسام ومحمد للخيمة وجلسا على الأرض يتحدثان بهدوء حتى صرخ حسام فجأة ونهض مفزوعاً يجري إلى أبعد ركن في الخيمة وهو يرتجف ويصرخ : ع..عنكبوت ! عنكبوت سام !
أيقظ صوته أمجد النائم فاستوى جالساً وحرك نظره بين حسام المفزوع ومحمد الذي يضحك بشدة لأول مرة ومنير الذي ينظر إليهما بحيرة مثله
قال محمد وهو يضحك : إنه ليس ساماً ! مجرد عنكبوت عادي صغير ! لا تكن جبانا يا حسام .

بعد قليل اطمأن حسام لكنه لم يعد لمكانه أبدا خوفاً من وجود عناكب وحشرات أخرى ..
منير : هل تكره الحشرات لهذه الدرجة ؟
حسام : أ..أنا لا أكرهها فقط ، أنا أخافها كثيراً!
منير : ولم كل هذا الذعر من الحشرات إنها لا تفعل شيئاً؟
حسام : بل تفعل ! عندما كنت صغيراً كان والدي يعمل في استخراج الذهب في الصحراء ، اتعلم ماذا حدث له؟ لقد لسعته عقرب كبيرة ! لحسن الحظ أنه نجا لكن ذلك كان مخيفاً بما يكفي لجعلي أخشي كل الكائنات السامة واللاسعة !
منير : لم لا تقتلها وحسب ؟ إنها صغيرة وضعيفة!
حسام : ك..كلا لن أقترب منها أبدا! أستخدم المبيد فقط لإبعادها !
منير : المبيد لا يبعد الحشرات بل يقتلها
قال حسام بإصرار : هذا أفضل! سأقتلها قبل أن تقتلني!

عم الهدوء فجأة في الخيمة وهم ينظرون إليه حازماً وثابتاً لأول مرة ، لم تكن نظراتهم ودودة أبداً فجملة عادية كهذه هي أكثر الأشياء حِدة وغرابة عندما تقال في مسرح لجريمة قتل ! إنها لا تعبر فقط عن سوء النية بل تعني الإصرار على الإجرام والتحدي !
ارتبك حسام وكأنه لم يفهم شيئا من هذا ولا يدري ما تعنيه نظراتهم ، توتر الجو بينهم لكنه لم يدم طويلاً فقد نهض منير على الفور وخرج بسرعة من الخيمة بينما عاد أمجد إلى أحلامه بهدوء .

أسرارٌ تُكشَف

عندما استيقظ أمجد من نومه وجد محمد وقد بدا متوتراً وحزيناً يجلس في زاوية الخيمة بصمت ، اتجه أمجد إليه وسأله: ما بك؟ لم تبدو هكذا؟
رفع محمد بصره وقال وعينيه ترتجفان : إنه حسام
أمجد: ما به حسام ؟
محمد : إنه هو .. ال..القاتل!
فتح أمجد عينيه بشدة وصاح : ماذا ؟ من قال هذا؟ ما الدليل !!
محمد : ل...لا أعرف شيئاً ، فقط أتى رجال الشرطة وقبضوا عليه فجأة وقالو أنه قاتل عامر وأخذوه إلى خيمة المحقق ولم يعد من وقتها !
تنهد أمجد بارتياح وقال : جيد ، لم يفت شيء بعد .. لازال هنا ، سأعرف ما يجري بسرعة .
واستدار ليخرج حين سمع محمد يناديه : أمجد! إنه برئ انا متأكد من ذلك !
نظر إليه أمجد بهدوء ثم قال : لستُ متأكداً لكننا سنعرف ذلك بعد قليل .
بمجرد أن أكمل جملته خرج مسرعاً تاركاً وراءه محمد وحيداً.

بعد لحظات كان يقف في الخيمة أمام المحقق جمال ومنير بجانبه وحسام مقيد قربهما يرتجف من الخوف

قال أمجد : ماذا حدث أيها المحقق ؟ وكيف توصلت لهذا الاستنتاج ؟
ابتسم المحقق وقال : في الحقيقة هذا ليس استنتاجي ، لقد كانت فكرة منير !
صُدم أمجد بشدة وتمتم : منير ؟ هذا مستحيل
قال منير بضيق : لمَ ؟ ألستُ ذكياً كفاية !
أمجد: كلا لم أقصد هذا .. فكرت انك كنت الأقرب إلى حسام فكيف تشك فيه ؟!
منير : هذا صحيح ، لقد تفاجأت أنا أيضاً! كيف يمكن لشخص مثله ارتكاب جريمة كهذه ، لكنه ذئب في ثياب حمل ! اتضح أنه خطير أكثر مما يبدو عليه!
أمجد : كُف عن هذا واشرح لي استنتاجك باختصار لو سمحت .
منير : الأمر ليس معقداً ، بل هو أبسط مما اعتقدت! كما تعلم فسبب الوفاة كان سمّ السيانيد القاتل ولكن رجال الشرطة لم يجدوا أي أثر للسيانيد عند أحد من الطلبة او المشرفين ! لكنني كشفت الأمر! كان ذلك عندما تحدث حسام عن قتله للحشرات بالمبيد الحشري ، وخطرت لي فكرة حينها " ماذا لو أمكنه قتل شخص أيضا بالمبيد الحشري؟ " وتذكرت فوراً أن المبيد قد يحوي مواداً سامة تقتل حتى البشر لكنني لم أكن متأكداً من وجود مبيد حشري معه او حتى احتواء المبيد على مادة شديدة السمية فاتجهت فوراً الى المحقق جمال وأخبرته بتحليلي وطلبت منه الإذن لتفتيش حقائب حسام ووافقني في ذلك ، وهل تعرف ماذا وجدت؟ مبيد حشري! وهل تعرف ماذا كان

المكون الرئيسي للمبيد ؟ نعم ! إنه السيانيد! وهناك بالفعل كمية ناقصة من عبوة المبيد ، أعني تلك الكمية التي قتل بها عامر !
ثم ابتسم منير بزهو وقال : وهكذا أغلقت القضية !
لم يرد أمجد بشئ ، بل وقف جامداً بدون اي تعابير على وجهه ،حدق بمدخل الخيمة لمدة ثم نظر إلى حسام وقال بدون إشاحة بصره : تحليل رائع يا منير ! لقد أذهلتني بالفعل!
صرخ حسام بفزع : أ..أمجد! هل تصدقه بالفعل! ه..هذا ليس صحيحاً! أرجوك صدقني!

نظر إليه أمجد ببرود وقال : لماذا أصدقك ؟ هل لديك دليل براءة ؟
ارتجف حسام خوفاً من نظراته الباردة وأصبح يتمتم بخوف : أ..أنا لم أفعلها .. لا أستطيع.. لا أستطيع حتى فعلها.. إنه ابن الرئيس!
أمجد : ابن الرئيس؟
حسام بارتباك : أ..أعني ابن العميد .. عميد الكلية.. كيف أقتله ! كلا ... لا أستطيع!
قال أمجد بخبث : إذا لو لم يكن ابن العميد كنت ستقتله ؟
أصبح حسام أكثر خوفاً وارتباكاً وقال : كلا..كلا.. لن أقتل أحدا.. أي أحد!
أمجد : لا فائدة من الإنكار على أي حال ، فدليل إدانتك موجود! ولا يوجد دليل على براءتك !
_بل يوجد!

كان ذلك الصوت الصارخ هو صوت محمد الذي دخل الخيمة لتوه ، تقدم بضع خطوات للأمام ووقف مواجها للمحقق جمال وهو يتصبب عرقاً
ابتسم أمجد ابتسامة عريضة بينما سأل المحقق جمال : وما هو دليلك على أنه برئ ؟
قال محمد وقد استعاد هدوءه المعتاد : إنها الرائحة ، للمبيد الحشري رائحة نفاذة جداً ولو كان قد فتح عبوة المبيد في الخيمة لبقيت الرائحة فترة طويلة وكنا جميعا سنلاحظها ولكننا لم نشعر بشيء من ذلك
المحقق جمال : ربما فتح العبوة خارج الخيمة ، اخذ كوب الشراب من حقيبة الضحية وخرج من الخيمة وسكب فيه المبيد وانتشرت الرائحة في الهواء واختفت! أليس هذا ممكناً ؟
محمد : كلا هذا لا ينفي دليلي ، فحتى لو فعل ذلك كنتم ستجدون بصمات أصابعه على كوب الضحية لكن لا وجود لها
المحقق جمال : يمكنه استخدام منديل او قفازات لحمل الكوب أو إخفاء البصمات بمسحها !
محمد : لنفترض أن هذا حدث ! لذا عندما يحضر الضحية الكوب ويفتحه ليشرب .. ألن تفوح رائحة المبيد منه؟ لماذا لم يلاحظها أحد ؟ بل سيكون طعم الشراب مختلفاً أيضاً ، كيف لم يلاحظ الضحية ذلك ؟ هذا مستحيل تماماً !

صمت المحقق جمال عن الرد وظل ينظر إليه ويفكر بعمق ..

ووسط هذا الصمت صفق أمجد بيديه بشدة وهو يضحك بهدوء وقال : رائع رائع أيها البشري ! كنت أعرف انك ستأتي وتنقذنا من حماقة هذا الاستنتاج !
نظر كل من بالخيمة بذهول لأمجد وقال منير بحيرة : ما الذي تقوله ! الم تكن مقتنعاً أيضاً بتحليلي قبل قليل ؟!
لوّح أمجد بيده وقال : كلا ، لم أكن ولن أكون! فعلى كل حال لم تسنح الفرصة لحسام بالاختلاء وحده في الخيمة ليفعل شيئا من هذا ، لقد كان معنا طوال الوقت!
قال منير بغضب : إذًا لماذا ؟ لماذا تظاهرت بأنك مقتنع بتحليلي!
أمجد : تظاهرت بذلك لأضع حسام في موقف حرِج .
قال محمد بحدة : كنت تعلم أنني سأتدخل لإنقاذه!
أمجد : نعم كنت أعلم ، لقد رأيت ظلك وأنت تسترق السمع خارج الخيمة ، كنت تأمل أن أنقذ حسام من هذا لكنني خيبتُ أملك فقررتَ التدخل بنفسك .
قال محمد بغضب طفيف : ل..لم فعلت ذلك ! كنت تعرف أنه برئ! كان بإمكانك حمايته وتحريره بنفسك !
قال أمجد بهدوء : ظننتك ذكياً لكن يبدو أنني أخطأت !
وقف المحقق جمال فجأة وصاح : أمجد! أنت ترتكب جرماً بفعلك هذا ، لقد عرضت حياة شخص برئ للخطر بينما كان بوسعك إنقاذه!
أمجد ببرود : ألا تريد معرفة السبب؟
المحقق : وهل هناك سبب لهذا؟
تجاهله أمجد ونظر إلى ساعة يده وقال بسعادة

أوه اقتربت الساعة العاشرة! إذاً لننته من هذا الأمر بسرعة !
ثم وقف بثبات وقال بصوت عالٍ : سأخبركم لماذا فعلت ذلك .. ببساطة لأنني أردت التأكد من شكوكي ! شككتم جميعاً بي لكنكم لم تلاحظوا لشئ أكثر أهمية: لماذا يدافع محمد عن حسام ويزيد التهمة على نفسه ؟
المحقق : هذا لا يعني شيئا ، إنهما صديقان وحسب..
أمجد : بل يعني الكثير ! لكن دعني أوضح لك شيئا أولاً ، أتذكر عندما قلت أنهما يخفيان شيئاً وان ثقتهما العمياء ببعضهما البعض غير طبيعية ؟
المحقق : نعم أذكر ، وهل عرفت ما يخفيانه ؟
أمجد : في الحقيقة لقد كنتُ مخطئاً بالكامل! على عكس ما اعتقدته فلم يكن أيٌّ منهما يثق في صاحبه بل ظن كل منهما أن الآخر هو القاتل لهذا حاول تبرأته بقدر ما استطاع حتى لو دفع به هذا لاتهامه بالجريمة وهو ما استبعداه لثقة كل منهما ببراءته وعدم وجود أدلة ضده !
صرخ المحقق جمال : ما الذي تقوله ؟ أتعني أن كليهما برئ من الجريمة!
تجاهله أمجد وتابع حديثه : لذلك قمت بالاعتماد على هذا النهج الذي يتبعانه وقمت باستفزاز حسام كثيراً حتى دفعت محمد للدخول والدفاع عنه واضطر للمخاطرة وكشف نفسه !
سأل منير : عن أي مخاطرة تتحدث؟

التفت أمجد إلى محمد وهو يقول له : أعني عندما خاطرتَ بالدفاع عنه وتوريط نفسك يا محمد ، أم علي أن أقول... يا أحمد !
نظر إليه محمد بصدمة بينما قال حسام بارتباك : تقصد محمد أليس كذلك ؟ لقد أخطأت بالاسم !
أمجد : كلا لم أخطئ .. فهذا الفتى الواقف أمامنا هو أحمد بشحمه ولحمه ! الأخ التوأم الذي يُفترَض أنه قد مات منذ سنتين ! أليس هذا صحيحاً يا أحمد ؟
تنهد أحمد وقال : نعم هذا صحيح ، أنا هو أحمد
شهق حسام بصدمة وصاح منير : ك..كيف يمكن ذلك! أحمد قد مات بالفعل ، ما الذي يحدث هنا ..
قال أمجد : أنت مخطئ ، الذي مات هو محمد وهو الذي كان يدرس الآداب في قسم اللغة العربية مع حسام وعامر ، هو نفسه الفتى المرح ذو الوجه البشوش المبتسم والمحب للمغامرات والإثارة ، ذلك هو محمد الذي مات حقا قبل سنتين ، ثم أتى أحمد شقيقه التوأم وتظاهر بأنه مات واستغل الشبه الكبير بينه وبين أخيه فأخذ مكانه واسمه وارتاد كُليّته أيضاً وصادَق اصدقاءه كذلك! وهذا ما يفسر لنا الاختلاف الكبير في شخصيته قبل الحادثة وبعدها .. فهو ليس نفس الشخص حتى !
نظر الجميع بصدمة إلى أحمد الذي ابتسم بمكر ثم رفع رأسه وقال بهدوء : أنت محق في كل ما قلته .. لقد خدعتُ الجميع لمدة سنتين .. كيف كشفتني في يوم واحد !
ابتسم أمجد بنصر وقال : البشر أغبياء ! في هذا اليوم الواحد كان هناك الكثير من الدلائل والثغرات في خدعتك

! ما أثار فضولي في البداية هو الاختلاف الكبير بين شخصيتك الهادئة التي نراها والشخصية المرحة التي يصفها لنا حسام عنك ، صرت كئيبا وهادئا بعد موت أخيك ؟ لم أصدق لثانية واحدة خدعة الاستعطاف تلك ! ثم أثرت حيرتي عندما قلت أن الشاعر بشّار بن برد قد وُلِد أعمى وهذه معلومة خاطئة عنه ولا يمكن لطالب لغة عربية ان يقع في خطأ كهذا ولو كان مبتدئاً! ثم رأيتُ تلك الصورة في هاتف حسام وعندها قطعتُ الشك باليقين وكشفتُ أمرك! ففي الصورة كان محمد يضع قلماً في جيب بنطاله الأيمن مما يعني أنه يستخدم اليد اليمنى للكتابة أي أنه أيمن وكان أحمد في الصورة يمسك كتابا ثقيلاً بيده اليسرى بسهولة فتذكرت أنك كنت تكتب باليد اليسرى أيضاً عندما سجلت الطلاب في مقر النادي وعرفت فوراً أنك أحمد !

غطى أحمد وجهه بيده وقال : أنت سريع البديهة ، حتى عائلتي لم تلاحظ الفرق بيننا ! وكشفته أنت بهذه السرعة؟! علي تهنئتك بالفعل على هذا !

صاح حسام برعب : م..ماذا تقول ! هل ما قاله حقيقي ؟! ك..كلا لا يمكن ..لا يمكن !

بين تمتمات حسام وصدمة منير والمحقق صرخ أمجد فجأة بغضب : لماذا ؟! لماذا فعلتَ ذلك ! خدعتَ أهلك وأصدقاءك وقتلتَ نفسك ! أتعلم كم شخصاً حزن على موتك المزيف ؟ أتعلم كم مرة بكى عليك أهلك وأنت حاضر بينهم ! وأصدقاء محمد .. خدعتهم جميعاً وسرقت

مكانه بينهم وقتلت سعادتهم بكآبتك المصطنعة لتثير تعاطفهم معك أيها المزيف ! لا يوجد أبداً مسوِّغ لفعلتك !
ارتجف أحمد ونظرة الندم على وجهه وقال بصوت مهزوز : بل يوجد .. لدي سبب مقنع ..لقد كنت مضطراً لذلك ، لأجل محمد ! نعم .. لأجله .. لم يكن هناك سبيل آخر!
جزّ أمجد على أسنانه ثم صرخ : أتظن أنه سيسعد بالانتقام ؟ بالعكس أيها الأحمق! لو عرف محمد بهذه الجريمة لكره الأمر كثيراً! لم يكن ليرضى بذلك أبداً ، لا تخدع نفسك يا هذا ! أنت من تريد ذلك وليس هو ، تريد إطفاء نار الحقد والانتقام بداخلك ! لا تشوّه الحقائق لتريح ضميرك !
ارتجف محمد بشدة ودارت عيناه وهو يقول : أ.. أنت! .. كيف عرفت ذلك ؟ أ..أنا لم أفعل شيئاً.. أقسم لك ! أقسم أني لم أقتله !
وقف المحقق جمال وضرب الطاولة بيده بقوة وصاح : اصمتا كلاكما الآن ! فليشرح لي أحد ما الذي يجري هنا وعن أي انتقام تتحدثان !
تنهد أمجد وتكلم بهدوء قائلاً : سأشرح لك الأمر من البداية ، تلك البداية التي حدثت قبل سنتين من الآن..
عندما مات محمد ، عندما سمعت عن طريقة موته ومكان الحادثة _في الشارع الخلفي من الجامعة_ أصبح الأمر لغزاً بالنسبة لي وذلك لأن هذا الشارع الذي مات فيه شارع واسع وعادة ما يكون خالياً من المارّة وبه عدد قليل جداً من السيارات ، في مثل تلك الظروف كيف لم ينتبه

لسيارة مارة أمامه ؟! ولماذا لم يهرب بعد أن انتبه لها مع أن المكان خالٍ وواسع ؟ هذا المكان أبعد ما يكون عن طريق للحوادث! ظللت أفكر في هذا اللغز حتى انتبهت لعاملٍ مهم جداً في الحوادث! وهي الحالة النفسية والعقلية للضحية ، ثم توصلت للإجابة بسهولة .. وهي أن محمد لم ينتبه للسيارة لانه لم يكن في حالة نفسية وعقلية جيدة .. لقد كان تركيزه مشتتاً وبحالة نفسية سيئة للغاية مما أفقده الانتباه والإحساس بالواقع فلم ينتبه للسيارة إلا في اللحظة الأخيرة ، ولم لم يهرب بعد ان انتبه لذلك ؟ لأنه ببساطة لم يرد الهروب! لقد كان يائساً جدا من الحياة لذا تقبل موته ببساطة وسهولة ! أليس هذا ما حدث يا أحمد ؟

ابتسم أحمد بحزن وقال : أنت تروي الأمر وكأنك كنت معنا ذلك اليوم .. انت تعرف كل شئ ولكن هل تعرف لماذا كان في تلك الحالة السيئة ؟

أمجد : أجل أعرف .. بحثت عن سبب لذلك طويلاً حتى وجدتُ خبراً غريباً على موقع الجامعة نُشِر بعد وقت قصير من وقت وفاة محمد ، كان خبر مشاركة عامر في مؤتمر عالمي للشباب وقد تم اختياره نظراً لتفوقه على كل أقرانه في الجامعة ولسمعته الحسنة بينهم وتطوعه في الكثير من الأنشطة الخيرية ، أربكني هذا الوصف كثيراً فهو لا يشبه عامر إطلاقاً وعلى النقيض فهو يشبه تماماً وصف محمد ! واعتقد أنه لا داعي لشرح المزيد فالأمر واضح !

قال منير بارتباك : ليس واضحاً بالنسبة لي ! لم أفهم شيئاً ، ما علاقة عامر والمؤتمر بموت محمد ؟

قال المحقق جمال بهدوء : أعتقد انني فهمت ، لقد كانت فرصة المشاركة في المؤتمر من نصيب محمد ولكن عامر بواسطة من والده العميد وربما رشوة أيضاً قد قام بأخذ الفرصة منه عنوة وبغير حق .
أكمل منير وهو يفكر : ولهذا كان محمد حزيناً ويائساً فلم ينتبه للسيارة وصدمته ..
أكمل أمجد : نعم ، ولهذا أخفى أحمد نفسه على أنه محمد وارتاد كلية الآداب مكانه ، ليتقرّب من عامر الذي كان السبب في موت محمد ثم ينتقم منه ويقتله كما قتل هو أخاه..
لم تكن الصدمة التي ارتسمت على وجه حسام أقل منها على وجهي منير والمحقق جمال .. كان الصمت طاغياً لم يقطعه إلا صوت محرك سيارة في الخارج ..
قال المحقق بنبرة حادة : الانتحال جريمة يعاقب عليها القانون والقتل جريمة أبشع بكثير ! اعتقد أنني سأعتقلك الآن يا أحمد!
وعلى الفور اتجه ضابطان إلى أحمد وتم تقييده بدون مقاومة منه ولم ينطق سوى هذه الكلمات التي قالها بهدوء : اسمعني يا حسام ..أنا آسف لكذبي عليك طوال هذه المدة لكن صدقني أنا لم أقتل عامر .. اقسم بالله أني لم أقتله .. لكن لن يصدقني أحد على كل حال ..
خفض حسام رأسه بحزن بينما هتف منير بنصر : لقد فهمت الآن! لهذا كنت تتحرك مثل الأشباح! ذهبت ودسست السم لعامر بدون ان يلاحظك أحد! من سيصدقك أيها المخادع!

قال أمجد بهدوء:
أنا أصدقه
قال المحقق جمال بذهول : كيف تصدقه ؟ أليس هو القاتل؟!
رد أمجد : كلا .. برأيك لماذا سيدافع عن حسام بينما كان بوسعه تلفيق الجريمة بغيره والنجاة بنفسه إن كان هو القاتل؟ لقد قلتُها من قبل .. البشر أنانيون في المواقف الصعبة !
قال المحقق بيأس : إذاً من سيكون القاتل إن لم يكن هو !
ابتسم أمجد وأشار بيده الى مدخل الخيمة وقال : القاتل الحقيقي سيدخل الآن إلى هذه الخيمة!
وفي تلك اللحظة دخل رجل إلى الخيمة بالفعل !

القاتل الحقيقي

كان رجلاً نحيفاً وطويلاً جداً وله عينان واسعتان بنظرات حادة ، اتجه إلى المحقق وألقى السلام وقال : لقد أتيت في الوقت المحدد لأخذها أيها السيد .

نظر المحقق الى أمجد الذي كان يبتسم بغرابة ثم قال للرجل بتوجس : ماذا تريد ؟

وفكر منير لبعض الوقت " من هذا الرجل؟ أيعقل أنه القاتل ؟ لكن لماذا أشعر أني رأيته من قبل ؟ إنه ليس غريباً علي ، أين رأيته يا ترى ؟ " لكنه عرف الإجابة عندما سمع الرجل يرد على المحقق قائلاً : أنا حاتم السائق الخاص بالسيد عامر رحمه الله ، جئت لأخذ أغراضه كما طلبت .

نظر المحقق إلى ساعته وقال : آه حانت العاشرة بالفعل ؟! إن مواعيدك دقيقة جداً ، تفضل خذ الحقائب التي هناك ويمكنك الذهاب بعدها مباشرة .

أومأ حاتم وذهب لالتقاط الحقائب من إحدى الزوايا واستدار ليخرج من الخيمة لكن يداً امتدّتْ أمامه وأوقفته فجأة ، التفتَ ليرى أمجد يبتسم وهو يقول : أتظن دخول الحمام مثل الخروج منه ؟

ارتبك الرجل وقال : م..ماذا تقصد ؟ أتريد ش.. شيئاً مني؟

ضحك أمجد بخفة وقال : علمت الآن ممّن وَرِث حسام التلعثم والتأتأة في الكلام !

صدم الرجل بشدة ونظر كل من في الخيمة إلى حسام الذي كان يرتجف وهو يحدق بالرجل الواقف حاتم

تبادل أمجد والمحقق جمال نظرات ذات مغزًى وصاح المحقق بعدها : اعتقلوه فوراً!
فاجتمع رجال الشرطة وأمسكوا به وقيدوه وهو يرتجف من الذعر ويتمتم بخوف : م..ما الذي يحدث ! ل..لم تفعلون ذلك بي ، انا لم أفعل شيئاً!
نهض حسام من مكانه واتجه نحو حاتم بسرعة وهو يصرخ : أبي ! اتركوا أبي ، اتركوه! إنه برئ!
قال المحقق جمال بعد أن أمر الضباط بإبعاد حسام عن حاتم : أمجد ، نحن نسمعك .. قل كل ما لديك ولا تخفي شيئاً .
جلس أمجد على الأرض وتنهد ثم قال بهدوء : حسناً ، ما سأخبركم به هو تحليلي الخاص الذي توصلت إليه قبل نصف ساعة فقط وانا معكم في هذه الخيمة .. باختصار شديد فهذا الرجل المدعو حاتم وهو والد حسام يكون القاتل الذي نبحث عنه !
قاطعه حسام بقوة : أ..أبي ليس قاتلاً! إنه ب..برئ! أنت ترمي الكلام بلا حساب .
قال حاتم بتوتر : نعم ما دليلك أنني قتلت عامر ! انا لم أكن هنا وقت الجريمة ، لدي حجة غياب واضحة !
أمجد : لا تحتاج ان تكون هنا ، سأخبرك كيف نفّذتَ جريمتك ! لقد وضعتَ السّم في كوب عامر قبل أن يأتي إلى المخيم واعتقد أنه كان شيئاً سهلاً عليك لأنك قريب

من الضحية وكثير التعامل معه فلست فقط سائقه الخاص ، فبالنظر لطريقة تعامله معك فأنت أشبه بخادمه الشخصي ! بعد تنفيذ خطتِك تأخذُ الضحية الى المخيم وتتركَه ليموتَ هناك وأنت بعيدٌ عنه ! خطة بسيطة ومحكمة ولن يشك بك أحد البتة !

عم الصمت لبضع لحظات قبل ان يتحدث أمجد ثانية :

لماذا لا ترد ؟ ألستُ محقا يا أبا حسام ؟

صرخ حاتم : كلا ، أنت..أنت لا تملك دليلاً على كلامك!

قال المحقق جمال بشك : أرِنا دليلك يا أمجد ..

تنهد أمجد وقال : ليس لدي دليل بعد

صُدِم الجميع وصرخ المحقق : ماذا ؟! هل تجعلنا نعتقل الرجل بسبب تخمين وحسب!

قاطعه أمجد بحزم : ليس لدي دليل مادي ، لكن أستطيع اخبارك بما حدث بالتفصيل وانا واثق من صحة كلامي !

هدأ المحقق وقال : هذه آخر فرصة لك يا أمجد ، لا تخيِّب ثقتي بك !

أمجد : سأخبركم أولاً كيف توصّلتُ لذلك الاستنتاج ، في البداية ظننتُ أن القاتل قد يكون أحمد بعد معرفتي بنيّته للانتقام لكن لم يكن هناك أيّ دليل ضده! فعزمت ان أجد الدليل الذي يثبت لي ارتكابه للجريمة إلا انني على العكس تماماً وجدت الدليل الذي يثبت لي براءته من الجريمة حين دافع عن حسام بدلاً من تلفيق التهمة عليه والنجاة بنفسه حين سنحت له الفرصة!

ثم فكرت .. من سيكون القاتل إن لم يكن حسام ولا أحمد ؟ وتذكرت فوراً فكرة سخيفة خطرت لي بالأمس بعد

استجواب حسام وأحمد والتي اتضح أنها لم تكن سخيفة بالكامل !
قال منير وهو يتذكر : الشئ الذي كنتَ تتمتم به ورفضتَ إخبارنا؟
قال أمجد : نعم انه هو ، لقد أوحيتَ لي بالفكرة حين قلتَ " ما كان الشراب الذي أحضره معه " أحضره معه ؟
لماذا لمْ نفكر في ذلك من قبل ؟! لقد أحضر الشراب معه من منزله ! ربما كان السم قد وضع قبل أن يأتي للمخيم .. عندما كان لايزال في منزله ! لكنني اعتبرتها فكرة سخيفة لأنه لا يمكن أن يمس أحد اغراضه الخاصة غير أمه وأبيه ولا يعقل أن أحداً قد يحصل على سمٍّ خطير كي يقتل ابنه ! فرفضت الفكرة ونسيتها فوراً لكنني اليوم لم أجد منها مفراً ! فالقاتل ليس في المخيم لذا لابد أن السم قد كان في الكوب بالفعل قبل قدوم الضحية!
وقبل أن أعرف من القاتل ، عرفتُ كيف حصلَ على السّم ! لقد حصل عليه من شبكة تُجار سريّة وغير مشروعة كان يتعامل معها منذ زمن لتزويده بالسيانيد الذي يحتاجه دوماً!
صاح المحقق : ماذا تعني بيحتاجه دوماً!؟ هل اعتاد قتل الناس بالسمّ !
ابتسم أمجد وقال : كلا كلا .. كان يحتاجه للقيام بعمله ! لقد سمعتُ حسام فجر اليوم يقول "كان والدي يعمل في استخراج الذهب" وعقلي الذي كان مشغولاً بالقضية ربط الأمور فوراً .. فمن المعروف ان السيانيد يستعمل في الكشف عن الذهب ! ولكن بما أنه خطير وسام فاستعماله

ممنوع قانونياً ، لذا تجد العاملين في استخراج الذهب يعرفون عدداً من التُجّار الذين يبيعون لهم السيانيد والزئبق أيضاً بطُرقٍ غير مشروعة .
قال المحقق بشك : لذا فيمكن لوالد حسام أن يحصل على السيانيد بسهولة ويكون القاتل ، لكن ما أدراك أن لوالده علاقة بالقضية ؟ وأنه هو حاتم سائق الضحية الخاص ؟!
أمجد : هذا ما فكرت به فعلاً! ماذا لو كان لوالد حسام علاقة بالقضية ؟ ولو كان له علاقة فمن يكون ! فعزمت البحث عن معلومات تخص والد حسام لكن جسدي لم يسعفني ونمت فوراً من التعب ! وعندما استيقظت انشغلت عن الأمر باتهامكم الباطل لحسام .
المحقق : إذا كان مجرد تخمين منك ؟ لم تكن متأكداً أن لوالده علاقة بالضحية وأنه السائق حاتم ! لقد كان تخمينا صائباً على أي حال !
أمجد : كلا لقد تأكدتُ من الأمر تماماً! كان ذلك عندما ذكر حسام كلمة ابن الرئيس وكان يعني بها عامر ، لقد سمعتُه يناديه هكذا أكثر من مرة ، ظننتُ الأمر متعلقاً بكونه ابن العميد أو لقباً للسخرية من غروره لكن مرّت بذاكرتي نفس الكلمة وقد سمعتُها من شخص آخر!
لقد كان السائق يناديه ابن الرئيس ! فوجدت المعنى الحقيقي لهذه الكلمة ... لأنه ببساطة ابن رئيسه في العمل ! ثم تساءلتُ لماذا يتحدث حسام مثل السائق؟ وعندما تربط بين حاتم وحسام فإن عيونهما الواسعة تكشف الجينات التي تربطهما فوراً ، لقد تعلم حسام تسمية عامر بابن الرئيس من والده .. والده الذي يمكنه الوصول للسيانيد ..

ويمكنه الوصول للضحية وأغراضه بسهولة .. ويمكنه دس السم دون الشك به ..
ثم أشار أمجد إلى حاتم بسبابته وصاح : ذلك هو حاتم سائق عامر وقاتله !
انهمرت الدموع على وجه حسام وهو يقول بصوت مبحوح : ه..هذا ليس صحيحاً ... أليس كذلك يا أبي! إ..إنه يختلق الأمور ... هذا ليس صحيحاً!
لكن حاتم لم يقل شيئاً واكتفى بخفض رأسه للأسفل بصمت
قال المحقق جمال : مع انك لا تملك دليلاً ملموساً على استنتاجك لكن علي الاعتراف بأنه مقنع جداً وواقعي ، سنبحث عن أي أثر للسيانيد مع حاتم او في منزله ، فلابد ان نجد دليلاً عليه ..
قاطعه أمجد قائلا : لا تتعب نفسك أيها المحقق ! لا يوجد أي أثر للسيانيد معه ..
قال المحقق بذهول : وكيف عرفت ؟!
أمجد : أعتقد أنه السّر الأخير الذي سيُكشَف في هذه القضية ..
المحقق : السّر الأخير ؟ ماذا تعني ؟
أمجد : أعني سرّ عامر الذي أخفاه و لا أحد يعرفه غير المقربين منه !
المحقق : وما هو هذا السّر ؟
أمجد : أنه كان مصاباً بمرض السكّري! وقبل أن تسألني كيف عرفتُ ذلك وما علاقته بوصول السيانيد إليه سأخبرك كل شيء ... لقد كان حاتم يعلم بمرض عامر ويعلم أنه لا يستخدم إلا السكّر الخاص بمرضى السكري

لذلك قام باستبدال علبة السكر الخاصة بعامر بعلبة أخرى تشبهها إلا أنها خالية من السكر .. بل بها قرصٌ من السيانيد يشبه أقراص السكر التي يستعملها عامر دائماً ، وهذا يُفسِّر لنا لماذا لم يشرب عامر العصير الذي نقدمه ولماذا أحضر شرابا خاصاً به معه ويُفسِّر أيضاً كيف عرف القاتل أن الضحية سيشرب من هذا الكوب دونا عن العصير الذي نقدمه هنا !

المحقق : إنه استنتاج ممتاز ! لكن كيف عرفت أنت بمرضه!

همس أمجد بضيق : أكره أن أشرح كل شيء لهؤلاء البشر!

المحقق بحيرة : لم أسمع ما قلته ، هلا ترفع صوتك ؟

رسم أمجد ابتسامة مزيفة وقال : بالطبع! قلتُ أني عرفت ذلك من استخدامه لحقنة الأنسولين يوم أمس فقبل العشاء بساعة _ أي عند الساعة الثامنة _ رأيته يخرج من الخيمة ومعه شئ في جيبه ثم عاد وهو يفرك أعلى ذراعه في مكان الحقن وأيضاً رفضه للعصير وتحريكه المستمر للشراب الذي معه وكأنه كان يحرك السكر فيه ليذوب وهو لم يعلم بالطبع أنه كان سُمّاً وليس سُكّراً والأهم من ذلك كله أني تذكرتُ حواره مع حاتم عن ضرورة أخذه للمنزل قبل الساعة الثامنة مع أن المخيم ينتهي الساعة العاشرة والسبب في ذلك أنه كان لا يريد أن يأخذ حقنته هنا ويراه أحد ما فيكشف أمره!

صرخ حاتم بقوة : أنا لا أعترف بأي شيء من ذلك! أنت تلفق كل هذا لتقلب الحقائق ضدي!

قال المحقق بغضب : اصمت ! كل شيء واضح الآن! الأدلة كلها تشير إليك!
حاتم : لا يوجد دليل حتى ! كل هذا من وحي خياله الواسع!
المحقق : وما الذي يدفعه ليلقي بالتهمة عليك!
صاح حاتم : لكي ينجو بنفسه وصديقيه الآخرين ، أليسوا متهمين أيضاً ؟
ضحك أمجد بهدوء وقال : اه بخصوص هذا الأمر...
ثم اقترب من حاتم وهمس في أذنه بشئ جعل حاتم يرتعد ويرتجف ثم تساقطت دموعه بغزارة وهو يقول : أ..أنا أنا أعترف..
نعم انا من قتلت عامر ..
صرخ حسام : م..ماذا ؟! أ..أنت تمزح يا والدي ، أليس كذلك ؟! هذا ليس صحيحاً .. ليس صحيحاً!
لم يرد عليه حاتم بل اكتفى بالنظر إلى وجهه بحزن وندم
قال المحقق بحيرة : اه .. حسنا .. هذا الاعتراف يكفي لاعتقالك ومثولك أمام المحكمة!
بعد قليل نهض المحقق وسار ومعه بعض الضباط الذين يعتقلون حاتم وأحمد واتجهوا نحو سيارة الشرطة الواقفة بالخارج
ركض حسام خلف والده وصاح : ل..لماذا ؟ لماذا فعلتَ ذلك يا والدي !
التفت إليه حاتم وقال بحزن : من أجلك يا حسام .. لم أستطع تحمل إهانته لك ولي ، لقد استحق ذلك جزاء غروره وتكبره .

وقت العودة

بعد فترة من الوقت كان كل من منير وأمجد يحزمان أمتعتهما استعداداً للعودة ومغادرة المخيم الفارغ

تنهد أمجد وقال : سأموت من التعب !
منير : ألم تنَمْ بما يكفي هذا الصباح! أنت لم تقُم بأيّ عمل مرهق حتى !
أمجد : حقا؟ أوليسَ التفكيرُ أمراً مرهقاً ؟ أشعر أن خلايا دماغي ستنهار بعد قليل ...
ضحك منير وقال : حسنا حسنا أنا آسف ، لنعُد بسرعة لتنال قسطاً من الراحة
حمل أمجد حقيبته وقال : اه نعم ، لقد اشتقت لهوايتي المفضلة !
سأل منير : القراءة ؟
أمجد : لا ، مراقبة السقف والجدران في غرفتي ..
ضحك منير بشدة ثم سأل بحيرة : لكن ... أمجد .. أخبرني كيف جعلت حاتم يعترف ؟ ما الذي قلته له ؟
ابتسم أمجد بخبث وقال :
قلت له "إن كنتَ بريئاً فالمتهم الأول من بعدك سيكون ابنك حسام ولوجود دليل ضده سيتم اعتقاله فوراً" ، كم هو سهلٌ الإيقاع بهؤلاء البشر العاطفيين !

أظلم وجه منير وهو يرى التعبير المخيف على وجه أمجد
ثم ضحك بهدوء حين قاطعه أمجد قائلاً :
أتعلم يا منير ..
كانت هذه أول جلسة رعب تُرعِبني فعلاً ..

انتهت